۱۶۵۷۶

مجله	الفرقان
تاریخ نشر	رجب ۱۳۸۷
شماره	۵ مجلد ۵
شماره مسلسل	
محلّ نشر	لبنان
زبان	عربی
نویسنده	محمد علی الزعبی
تعداد صفحات	۴۲۲-۴۳۵
موضوع	ضربت علیهم الذلة والمسکنة
سرفصلها	
کیفیّت	
ملاحظات	

"من وحي قوله تعالى"

ضربت عليهم الذلة والمسكنة

بقلم الشيخ محمد علي الزعبي

١ ــ (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) و (.. اني فضلتكم على العالمين) .

قال عبد الله بن العباس :) ان في القرآن معانيا سوف يكشفها الزمن (واني اراه اخذ يكشف بعض الآيات منها قوله (... وضربت عليهم الذلة والمسكنة) .

قال تعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) سورة البقرة آية ٤٧ و ١٢٢

لقد فضلهم على مجاوريهم من عباد الاوثان واستمر التفضيل ما داموا ابرياء من عبادة الاوثان محافظين على العهد الذي اخذه ابراهيم ، لكن هل استمر هذا التفضيل حتى بعد نقض العهد والانغماس في مستنقع عبادة الاوثان .

لقد فضلهم اذا عملوا بهذا الشرط ، لكن حين (انتفى الشرط طبعا) انتفى المشروط ! وها نحن نستعرض كتبهم لنرى هل ثابروا على هذا العهد الذي ورثوه من ابراهيم ام نقضوه قبل ان يجف مداده ؟

ما كادوا يفارقون مصر بقيادة موسى يحملون سلبا واختلاسا ما استطاعوا من مالها وحليها حتى مروا بقوم يعكفون على عبادة العجول واخذوا يقولون لموسى اجعل لنا آلها) ولم ينتظروا الاجابة بل اقاموا من بعض ما يحملون من الذهب عجلا معبودا .

اذن بدء نقض العهود والمواثيق منذ عهد موسى . فزال المانع الذي فضلوا به على مجاوريهم وعاد الممنوع بل عاد اكثر منه ان عبادة الاصنام الذهبية مرض لم نجده بالتاريخ ساريا بامة قبلهم .

لقد حدثنا العهد القديم عن عودة القوم لعبادة الاصنام وعرض علينا الاصنام

معبودة حتى في هيكل سليمان فهل بعد هذا يرى القارىء تفضيلا او اختيارا ؟ بل ان العهد القديم يعرض علينا سليمان نفسه عاكفا على عبادة الاصنام اكراما لقسم كبير من نسائه التسعمئة اذ بعضهن يعبدن اصناما .

لقد نقضوا بهذا عهد الله الذي نراه في كتبهم بهذا النص (تكونون لي شعبا واكون لكم آلها) نقضوه مذ عهد اسرائيل نفسه الذي يعرضه العهد القديم يسرق صنم خاله الذهبي .

نقضوه وانغمسوا بمرض النقض ، لقد هان عليهم نقض عهد الله نفسه الذي يرون انفسهم له ابناء واحياء وشعبا مختارا وتخلوا عن الله فتخلى عنهم وخلاهم لاهوائهم .

لقد استعذبوا النقض وما زالوا يمارسونه حتى تخيلوا الله راضيا عنه وآمرا وها هو سفر يشوع يحدثنا ان يشوعا عاهد اهل مدينة اريحا وما كاد الله يرى هذا العهد ــ ان صح هذا التعبير ــ حتى غضب وارغى وازبد وامرهم بالنقض لان اهل اريحا من الاموريين الذين ليسوا جديرين بمعاهدة ابناء الله واحبائه وصفوة خلقه .

امرهم بالنقض وشفعه بقوله (اقتل صغيرا كبيرا بقرا جملا حميرا اجعل المدينة تلا) ! نقضوه وقطعوا حبل الصلة ورغم هذا كونوا من كتبهم وما ضموه لها من كتب (اعشتا والجبارا والتلمود) انسانا ما زال يضخم انانيته وعنجهيته حتى تخيل الله نفسه لا يخرج عما خططوه له ؟؟

١ ــ رأوا الله لايستطيع ارسال رسول الا من جبال القدس ــ الخليل ــ بيت لحم ، وصوروه آلها لاسرائيل وحده وقد خلق بقية الناس ليركب ولده البكر اسرائيل ظهورهم ويمتص دمهم ويحرق اخضرهم ويهدم عامرهم .

٢ ــ رأوا كل رسالة لا تنبثق من تلك الجبال تجب مقاومتها والاجهاز عليها ولذا سخروا من المسيح وقالوا بابتسامة التهكم (وهل يأتي من الناصرة شيء صالح)

٣ ــ تلاعبوا بمعاني الوحي وما زالوا يهبونه من التآويل البعيدة المنحرفة حتى خرجوا به عن الدائرة الانسانية العالمية التي اشرق لاجلها .

مثلا جاء في الوصايا ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تشهد الزور ... وماذا تريد من التحريف والتجديف تصول على هذه الوصايا حتى رأيناها موضوعة بهذا النص :

لا تقتل (يعني يهوديا) لا تسرق (يعني من يهودي) لا تزن (يعني بيهودية) لا تشهد الزور (يعني على يهودي ...) وهذا نموذج من التفاسير التي نرى القرآن الكريم يشير لها بكلياته الخالدة .

وهذا التفسير ليس غريبا لان القوم ارادوا ان تكون النصوص سلسة القياد في ايديهم ، لقد ارادوها تبيح الربا على غير اليهودي وتحرمه على اليهودي فقالوا بها ما نصه :

(للاجنبي تقرض بربا لاخيك لا تقرض) .

وجعلوا العبودية الابدية من نصيب الرقيق الذي ليس يهوديا اذ هذا يجب أن يصبح حرا بعد سبع سنوات من استعباده .

ورأوا مال واعراض وديار وكرامات الاممين (جميع الامم سوى اليهود) مباحة لمطلق يهودي يجوز له بل يجب عليه ان ينال منها ما استطاع ، على ان لا ينتظر الفرص بل يوجدها ويختلس مستترا بكثيف دخانها .

لهذه التفاسير الضيقة والنصوص المشبعة بالتعالي والانانية والصلف والجرأة على الله نفسه حقول كثيرة واسعة في العهد القديم والتفاسير والشروح .

وهذا ما كون النفسية اليهودية تكوينا نوجزه بالكليات الاتية :

١ ــ التآمر على الناس

● اول مؤامرة في التاريخ اليهودي ذهب ضحيتها اهل نابلس اذ قال لهم اسرائيل اختتنوا لنصاهركم فاختتنوا كبارا وصغارا واغتنم فرصة جراحهم وابادهم

● وكان بعض اهل قرى عجلون في عرس فباغتهم اسرائيل واحتال عرسهم مناحة ، اقام داود ضيفا عند ملك الفلسطينيين خمس سنوات ثم عاد وحصل بينهما حرب فوقع الملك وحاشيته اسرى فأمر داود بطرحهم ارضا ليمر على اجسادهم

(النوارج) الحديد الذي يدوسون به سنابل القمح •

● تآمروا على المسيح بقصص (مريم المجدلية) و (اعطوا ما لقيصر لقيصر) وسواها مما نرى في الانجيل •

● تآمروا على هذه البلاد ليقذفوها في فم قدماء المستعمرين كاليونان والرومان كما نرى هذا في سفر المكابيين الاول وهذا ما دفع ملك مصر (شيشق) وملك دمشق (بنهدد) ان يغزواهم بل دفع الفرس والبابليين لغزوهم وهدم هيكلهم واخذهم اسرى للشرق •

هذا التآمر المتقن النادر جدا لا سيما في ذاك الزمن الذي كان الانسان به طفلا كبيرا يرينا اليهود يسوقون القافلة الاولى من قوافل الانحراف عن الجادة الانسانية المثلى •

٢ ــ التجسس

هذا عهد اليهود القديم يرينا اثنى عشر جاسوسا يدخلون منطقة اريحا ويعودون ليقولوا في تقريرهم (دخلنا ارضا تأكل سكانها نحن في اعينهم كذباب)

٣ ــ الربا

لم ار في تاريخ العالم القديم رائحة للربا الا في جعبة اليهود لقد اتقنوه بل اتخذوا مصيرهم (الهيكل) سوق مراباة وصيرفة ، كما نرى هذا في الانجيل •

٤ ــ استباحة اختلاس اموال الناس بمطلق وسيلة اذ الغاية الكبرى هي رفع راية اسرائيل والغاية تبرر الواسطة ، وهذا ليس اخبارا تاريخية ، بل حقيقة ، يعرفها الذين يعرفون بعض ترجمة اسرائيل • على ان هناك استباحة اكبر هي استباحة دم مطلق انسان يسقط في قبضتهم وها هي دار الكتب اللبنانية تحتفظ بمخطوطة تدعى (سر الدم المكتوم) تحدثنا عن ضحايا من هذا النوع •

٥ ــ تكذيب جميع الرسل الذين يخبرون ان وراء هذه الدار دار ، ولذا نراهم في الانجيل يشبعون سخرية وتهكما بالمسيح حين سمعوه يقول (ان عند ابي منازل كثيرة) •

٦ ــ استباحة الكذب بل والاقسام الكاذبة حيث يرون في التلمود (اقسم عشرين يمينا كاذبا كي تنفع يهوديا بفلس) .

اخي القارىء ، ان العهد القديم المؤلف من ٨٦٠ صفحة مثقل بما يكمن في هذه النفسية الخطرة على الانسانية ولو استطاعت تلك الصفحات ان تفوح لفاحت وازكمت وها هي تزكم فعلا .

والمهم في هذا الموضوع ان القرآن نفسه تعنق هذه النفسية وكشفها ولكن الذين لا يدركون من القرآن الا الاصوات والانغام او الاكتفاء بحمله احجبة وقراءته على القبور ، ولكن هؤلاء طمسوا قلوبهم بايديهم واصبحوا عميانا يقودون عميانا .

نعم ان القرآن كشف هذا فقال :

١ ــ لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ــ سورة المائدة ٨٢

٢ ــ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم ــ سورة الاعراف ١٤٧

٣ ــ ويوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم ــ سورة المجادلة ١٨

٤ ــ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ــ سورة المجادلة ١٩

٥ ــ او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ؟ بل اكثرهم لا يؤمنون ــ سورة البقرة ١٠٠

٦ ــ سماعون للكذب أكالون للسحت ــ سورة المائدة ٤٢

٧ ــ يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون : سيغفر لنا ــ سورة الاعراف ١٦٩

٨ ــ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ــ سورة البقرة ١٧٥

٩ ــ واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ــ سورة النساء ١٦١

١٠ ــ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ــ سورة الاعراف ١٦٢

هذه صورة موجزة مكثفة مختزلة عما عناه القرآن في كلياته حول كوامن

نفسياتهم بل ذكر هذا واتم الاعجاز بقوله : (وما تخفى صدورهم اكبر) !

منحنا هذه الصورة واشار بقصة حسد اخوة يوسف لاخيهم وتآمرهم وكذبهم على ابيهم وبسيطرة يوسف على ارزاق المصريين بصفته رئيس مصلحة الميرة وبقتل موسى للمصري مدفوعا بحوافز القومية العبرية ...

اشار بهذا كله لكوامن ينبغي ان نفهمها من خلال السطور !!

لم يرد القرآن ــ طبعا ــ بعرض هذه الصورة ان يقول لنا : ان المال الذي بايديهم يدفع عنهم خطرا ، بل افهمنا ان المـــال والعدو والحديد والجيش الـــذي بأيديهم سينقلب وبالا حين تصبح مؤمنين بالله ايمانا يتناسب مع كرامة المؤمن .

افهمنا سبحانه بهذا بقوله (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من اللـــه شيئا) المجادلة ١٧

ولم يرد ان يحدثنا عما يتمتعون به من شجاعة بل نادى بجبنهم وحرصهم على الحياة بقوله (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتـــم صادقين ، ولن يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) سورة الجمعة ٦ و ٧

ولئن حدثنا القرآن عما تنطوي عليه نفوسهم من مؤامرات وحقد وغيظ وكيد واستعانة بقدماء المستعمرين كاليونان والفرس والرومان ومعاصريهم وفي رأسهـم انكلترا ، لئن حدثنا عن هذا فقد منحنا الاطمئنان على ختام الجولة بقوله :

(لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثـم لا ينصرون) آل عمران ١١١

لم يرد بتحدثه عنهم الا كشف الخفايا وهتك الاسرار ليأمر بني البشر بالتعرف على هذه الافعى التي لا تكاد تستعد للدغ حتى تفرغ في من استطاعت لدغهـــم سمها المميت .

لقد حذر القرآن العالم كله من مساعدة اسرائيل على صعود عرش ولبس تاج لانه ان بلغ هذا سيكون وبالا على العالم كله ، اذ لا يطعم البقرة ويتاجر بحليبهـا كما يفعل سواه من المستعمرين بل يذبح البقرة نفسها ويحرق جلدها لان كتبـــه تأمره بتدمير جميع الناس وفي رأسهم العرب على ان يبدأ بالمصريين !!

حذر الجميع من هذا بقوله :

(وان يكن لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) سورة النساء ٥٣

يعني اذا صار لهم دولة لا يسمحون للشعب الذي يعيش تحت لوائهم بمثل بذرة البلح بل بما هو اقل اذ النقير اصغر من ذلك !!

فهل بعد هذا يعجب القارىء من سيرة هؤلاء القوم اليتيمة لؤما وحقدا ؟ لقد تسردوا حتى على الله فقالوا : (ان الله فقير ونحن اغنياء) وتمردوا على الرسل فقالوا (قلوبنا غلف) اي لا تريد ان تسمع وقالوا (سمعنا وعصينا) بل اجهزوا حتى على رسلهم الذين حاولوا ان يكفكفوا مناهجهم المدمرة (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم ، فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) المائدة ١٧

هؤلاء الذين اعلنوا على الانسانية حربا سلاحها المؤامرات والاطماع هل يعجب القارىء اذ رأى الله نفسه يحبط اطماعهم ويدافع عن البشرية لانها عباده وعياله ؟

لقد دافع واحبط وكشف وفضح (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) ذلك لانهم (يسعون في الارض فسادا) سورة المائدة ١٦٤ وطبيعي انه تعالى (لا يحب المفسدين) ومن كرههم ـ ضرب عليهم ذلة ومسكنة !

لنعد لقراءة قوله تعالى :

واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .

قال : اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هوخيرا ـ اهبطوا مصرا ، فان لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) سورة البقرة ٦١

(ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وضربت عليهم المسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) سورة آل عمران ١١٢

يلاحظ القارىء ان القوم اقاموا في مصر اربعة اجيال وخرجوا بقيادة رسولهم ولكنهم بنفس الوقت لم يستطيعوا احتمال الشظف الموقت فطلبوا من موسى بقولا وفواكه وحبوبا !

تعجب موسى من طفولة تلك النفوس وضعف تلك الهمم ، لانهم فضلوا العودة لمصر رغم انهم رحلوا منها بخزي وتركوا عارا .

تعجب قائلا (واهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) من بقول وحبوب ولكنكم تجاه هذا حكمتم على انفسكم بالذل والمسكنة ورجعتم بغضب من الله..

على ان الله لم يصدر هذا القرار دون تعليل وحيثيات بل لانهم :

١ ــ كفروا بآيات الله ، اي ورثوا الوحدانية من ابراهيم ولكنها منذ حفيده اسرائيل انقلبت وثنية وعبادة ذهب .

٢ ــ لانهم قتلوا كثيرين من الانبياء ، ولم يقتلوهم بناء على شبهة او تهمة ، بل اعتداءا صريحا وقتلا للحقيقة وخنقا للنور .

٣ ــ لانهم عصوا اوامر الله التي جاء بها الوحي واعتدوا على قداستها .

هذا ما نراه تعليقا على آية الذلة والمسكنة في سورة البقرة وكيلا يقول القارىء ــ رغم كلمة ضربت التي تفيد الاستمرار والتأييد ــ ان القوم عادوا بعد موسى واستأنفوا حياة فدخلوا اريحا ــ ولو بالمواثيق الكاذبة ــ ودخلوا القدس بعد مئة واربعين عاما ولو بخدعة بيدر البيوسيين الذي جعله داود مذبحا .

قد يقول قائل ان القوم عادوا لرشدهم وربما اصدر الله عنهم مرسوما سامحهم بذلك القرار ، كيلا يزعم احد مثل هذا الزعم كررت الآيات الكريمة هذا القرار مستندا لنفس حيثيات القرار الاول اذ لا يزالون يمارسونها .

اي لا يزالون يكفرون بآيات الله ويرون الله تعب من السكون بين السحاب والضباب ولا بد له من بيت يأوي اليه ، ليبرروا وجودهم بفلسطين حول الهيكل الذي بنوه شفقة على الله ورحمة به !!

ولا يزالون يقتلون الانبياء والرسل ولكنه قتل من نوع اشد مرارة من

السيف فهم الى الان يقتلون ابراهيم بقولهم (تاجر بجسد زوجته وقدمها لملك مصر وملك النقب ليأخذ منهما بقرا وجمالا وحميرا) .

ويقتلون موسى اذ يعرضونه زير نساء وعشيقا لامرأة كوستية ، ويقتلون داود ويرونه اتخذ زوجة احد القواد خدنا وسعى لقتله والدها سليمان على ذلك الفراش العاهر ! ويزيدون في قتل داود حين يعرضونه يشاهد ولده امنون يأبى ان يعشق ويفترس الا اخته بنت داود نفسه !

ولا يزالون يعصون الله ويستنزفون دم عباده بسطلق وسيلة ويعتدون على المثل الانسانية العليا ولا يحترمون منها حتى ما اوجبت شرعة الامم المتحدة (كما يقولون) احترامه كانظمة الحرب الحديثة التي تأمر بالكف عن الاسرى والمرضى والمدنيين والعزل .

نعم قرار الذل والاستكانة والغضب الصادر منذ خمسة وثلاثين قرنا لا يزال ولن يزال مبرما نافذا ساري المفعول ، وان اضيف اليه في آية سورة آل عمران استثناء يذكرنا بكلمة عبد الله بن العباس : (ان في القرآن معانيا سوف يكشفها الزمن) اذ هو استثناء شرع الزمن يكشفه ويفسره ؟

لقد اخذ القرآن حقلا كبيرا لكشف النفسية اليهودية وها هو بقوله (الا بحبل من الله وحبل من الناس) ها هو يعرفنا ما لم نكن نعرف ، اذا كما استعانوا بحبل الفرس والرومان واليونان قديما عادوا يستعينون بحبل دول اوروبا واميركا حديثا ، ولكنهم رغم هذا الحبل الذي من الناس لن يستطيعوا تنفيذ ما يتلجلج في صدورهم ويدور على فلتات احاديثهم .

لا يستطيعون لان الذلة مضروبة عليهم محيطة بهم من كل جانب كما تضرب الخيمة على شخص وتحيط بجميع اطرافه اذ (تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) سورة الاعراف ١٧٦

يعني انه حكم عليهم بالحياة تحت اعلام الامم ، لانهم تآمروا على الجميع وحاولوا ازالة الجميع من الوجود فجوزوا بالحياة تحت ظلال سواهم وباؤوا بخيبة رجاء مقرونة بغضب من الله .

نعم لن يفارقهم الذل والاستكانة والمهانة رالتشريد والتيه ، لان سيف هـذا الحكم مصلت على اعناقهم في كل زمان ومكان فاذا ما شاهدناهم الآن يسكرون بزيبة كيان ، ويشدون بقاءهم بخيوط عنكبوت خالوها حبالا تـدفع عن السفينة اخطار زعازع الشعوب التي صبرت على لدغات اسرائيل قرونا .

اذا ما شاهدنا هذا ينبغي ان نعود للاية هذه ونرى الذل والمسكنة والغضب والاستكانة امراضا معقودة عليهم (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) !

اما تحقيقهم بعض الجولات فلا يعني شفاءهم من تلك الامراض بل يعني ان حبلا من الناس امتد لهم لينالوه ما ينالهم اذ ما مدت دولة لهم يدا الا رأينا الحوادث العالمية تمتد لبترها او شلها او كفها تدريجيا .

فانكلترا مثلا هي اول من مد لهم حبلا وهي في رأس قائمة اصدقائهم لانـي ارى في كتبهم اليهودية السرية هذا النص :

(يوجد لنا اصدقاء دائمون هم الانكليز لان اسرائيل مكتوب على قلوبهم).

انكلترا هذه ما كادت تخلقهم وتحملهم على ظهرها وتلقيهم على ثرى فلسطين حتى اخذت بالتضاؤل واصبحت ــ كما قال جمال الدين الافغاني كالسفينة المثقلـة لا تستطيع بلوغ الساحل الا اذا القت من حمولتها ــ.

انكلترا هذه اعترفت بكيان يهودي بفلسطين منذ عام ١٨٩٨ استجابة لطلب الوزير الانكليزي اليهودي دزرائيلي الذي قدم لمجلس العموم مشروعـا طالبـا الاعتراف بفلسطين وطنا صهيونيا معللا ذلك بقوله (كي نساعد الدول في حمايـة برزخ السويس) .

لقد حشرت نفسها في دائرة ذوي الذلـة والمسكنة وحصدت وستحصد ذلا ومسكنة وكأن الولايات المتحدة حسدتها على الغرق في هـذا المستنقـع المـلوث فأخذت وستأخذ نصيبها مما اعده الله لصهيون وانصاره من ذل ومسكنة .

هذا حبل الناس الذي مدوه لمساعدة المغضوب عليهم ، اما حبل اللـه فأراه تخليا منه تعالى عنا حيث تخلينا عنه فغرس في قلوبنا هذا الخنجر وفي عيننا هـذه الشوكة وضربنا بهذه العصا الحديدية كي يوقظنا ويذكرنا بأن المسلمين في معركـة

احد وفي قيادة الرسول اخطأوا خطأ عسكريا واحدا فاعتبر هزيمة !

يا لله ! كم اخطأنا عسكريا وسياسيا واقتصاديا ؟ كم سمعنا قول الله (واعتصموا بحبل الله) فمررنا به صما بكما عميا كالانعام بل اضل .

كم سمعنا قوله (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم) اي لا تتركوا الذين لا يتقون الله من الملوك والرؤساء ينفقون اموالكم بما لا يعود على مصلحتكم العامة بفائدة تدفع عن دياركم خطر الغزاة ، فمررنا كأن الكلام لا يعنينا غير عالمين ان لكل خطيئة كفارة ورحم الله السيد توفيق البكري اذ جمع في هذين البيتين كل ما يتلجلج في نفسي فقال :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمة فتبوء منه بفادح الاعمال

ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ألم المريض عقوبة الاهمال

نعم حبلان قام عليهم شطر اسرائيل الذي يشبه سحابة صيف اما حبل الله فسينتهي حين ننتهي عن اخطائنا التي انغمسنا بها طوال عصور الانحطاط ، ولا ريب ان عودتنا الى رشدنا تقطع الحبل الذي امتد لهم من الناس (اذا قطع الاصل قطع الفرع) .

حينذاك يعلم خالقو اسرائيل الذين اعلنوا انها خلقت لتعيش ان مساعدة الذين لا نصيب لهم في الحياة الكريمة لا تثمر الا ما يثمره الضرب بالحديد البارد .

سيجد مساعدوها ــ كما وجدت وستجد هي ــ ذلا ومهانة ، بدأت طلائعها وفاح عبيقها واقبلت بستائرها ، ولا بد ان يراها من له انف وقلب وعينان

وموجز القول

ان بخنجر عودتنا لممارسة واجباتنا كأمة نجتث حبل الناس وببركة تأدبنا بآداب تراثنا الروحي الذي كفل لنا السعادتين نبتهل الى الله ان يقطع منهم حبله ، حينذاك وحينذاك فحسب نتعلم كيف نرد عوادي الزمن واخطار مخبئاته وكوامنه .

حينذاك نتذكر ان عمر بن الخطاب سمع ان ابا موسى الاشعري استكتب

يهوديا فأرسل له : اطرده وما ان سوق ابو موسى حتى انفجر عمر قائلا : مات اليهودي والسلام .

كأني بعمر يتلو قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، ويعلم ان هذا سهم موجه لليهود اذ هم (لا يألونكم خبالا) اي لايدخرون جهدا في ما يورثكم شرا وفسادا وتثبيطا وتفكيكا لانهم يودون لكم العنت اي يحرصون على مشقتكم وضرركم .)

لقد شاهدتم محالفتهم مع مشركي قريش وغزوهم المدينة يوم الخندق وهذا بعض ما في نفوسهم اذ ما هو مدفون بها اكثر .

ان التآمر والحقد والضغائن طباع الفوها وحليب رضعوه ولذا فهم يراقبون سيركم فان مستكم حسنة اي انتصرتم في حقل ما ساءت وجوههم وحزنت نفوسهم وان اصابتكم كارثة اتخذوها عيدا .

لكن اذا تسلحتم بالفهم السليم وقتلتم عفريت الانانية الذي اتخذ صدور بعضكم دار اقامة وعلمتم ان العدل الطبيعي لا يرحم وتذكرتم ان رسول الله يقول (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) واصلحتم فاسدكم وعلمتم ان الصبر على المصيبة مع بذل الجهد في خلق دوائها ، مصيبة على الشامتين .

اذا فعلتم هذا كان اخفاقكم الاخير مقدمة لمد لا جزر بعده ، وان نسيتم هذم الجراح وخدعتم بهم حين ينقطع الحبلان عن اسرائيل ويرتدي ثوب الصديق ويذرف دموع التماسيح ، فقد ذهب ريحكم .

انتم تؤمنون بجميع الكتب والرسل وترون الله رب العالمين وقد تنظرون لهم بصفتهم انسان لكن خاب ظنكم هذا لان القوم يرتدون ثوب انسان ليستروا به ثوب الصل الذي حدثنا عنه المسيح مذ خاطبهم بقوله (يا ابناء الافاعي اعملوا اعمالا تليق بالتوبة) .

وكيف يعمل اعمالا تليق بالتوبة قوم يقودهم الحاخاميم والتاموسيون والفريسيون ورؤس الجالوت ليحيلوا لهم ضرر الناس عبادة وأكل اموالهم بالحت زلفى تقربهم الى الله .

وكيف يعمل اعمالا تليق بالتوبة قوم مسخوا النصوص بالتآويل الملتوية وستروا الهدى بثوب الضلال وصرفوا البشارات بالمسيح ومحمد عن معانيها التي لا تقبل الاحتمال !

كيف يعمل اعمالا تليق بالتوبة قوم نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما امر الله به يوصل وافسدوا في الارض وصالوا على تراث الانسانية الخلقي والعقائدي .

كيف يعمل اعمالا تليق بالتوبة قوم اتقنوا الدس والتجسس والافساد واشعال نار الفتنة ، ليقفوا وراء المحتربين ويفوزوا بغنائم الغالب والمغلوب .

كيف يعمل اعمالا تليق بالتوبة قوم حذفوا من قاموس عقائدهم : هذا حلال وهذا حرام ورأوا ازدراء لحوم الناس وجرع دمائهم عقيدة قائمة على تفاسير دينية ومنهم من أن تأمنه بدين لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الاميين سبيل) يعنون ان اموال جميع الامم مباحة لهم .

كيف يعمل اعمالا تليق بالتوبة قوم يودون لو اعادوا المؤمنين بالرسالات الى هاوية الوثنية مع علمهم ان من يفعل هذا يحارب الله .

لقد تنكروا لكل رسالة تخالف اهواءهم وتناسوا عهدا ان الله يختص برحمته من يشاء من عباده . وجعلوا الذهب معبودهم الاول والاخير واعترضوا على الله نفسه لانه أقام عليهم ملكا لا يملك من الذهب الا قليلا وقالوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) سورة البقرة ٢٤٧ .

يا بني امي :

تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاطبكم بقوله (الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ..)

ان ثلاثة اسباب هي : الجبن والبخل واختلاف الكلمة ، اقترفها اليهود منذ عهد موسى فاتخذها حيثيات لاصدار قرار الذل والمسكنة المبرم العادل الخالد .

هل ترون بين الله واحد من خلقه قرابة ، الا ترون بعض هذه الاسباب مرضا

يفتك في مجتمعنا ، من الذين (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) اكثر منا ؟ من الذين يسرفون في جميع الحقول وتجمد يداهم حين يدعون ليبتاعوا او يضعوا حديدة تتخذها جدارا حول ديارنا اقرأوا قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) .

لقد تكرر امر الانفاق في سبيل الله بالقرآن نحو اربعين مرة ، وكلمة في سبيل الله هذه لا يقصد بها الا الاستعداد لدرء الخطر المحتمل الوقوع .

ان سماعها فرض والعمل بها فرض اذا كان الخطر محتملا ، فكيف ترون الوجوب اذا كان الخطر محققا ؟

ان تنفيذ الامر من آية (اذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم) فرض وتنفيذه من آية (وانفقوا في سبيل الله) (واعتصموا بحبل الله) (ولاتنازعوا) (استجيبوا لله والرسول) فرض فما بالنا ننفذ بعض الفروض دون بعض ، هل فتك بنا مرض اليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؟

ان اليهود الان ـ طبعا بالاستعانة بالحبلية ـ اخذوا يحاولون التفلت من قرار الذل والمسكنة ولكن هذا ليس بمقدورهم لان انفسهم تنطوي على ما لا يمكنهم من الحياة الا في قوقعة الذل والمسكنة ولكني ارى بعض حيثيات هذا القرار لا سيما كلمة (تحسبهم جميعا وقلوبهم شيء) قد جثت على صدرنا وقتا طويلا واثمرت ما ترون من المآسي .

فهلا اخذنا من الدهر عبرة واتخذنا الايام مؤدبا وخططنا الطريق تخطيطا محكما : يعز علي والله اخي العربي ان تغزى في عقر دارك ، وينحني عنقك امام ذوي الذلة والمسكنة وهذا ما حملني على هذه الكلمة المخلصة :

انت عيني وليس من حق عيني ... غض اجفانها على الاقذار

بيروت — محمد علي الزعبي